أثر الأساليب البيانية في الكشف عن المقصود النبوي

The Impact of Rhetorical Styles in Revealing the Prophetic Intent

إعداد

طيبة حسين سعيد محمد

Tayyeba Hussein Saeed Mohammed

طالبة دكتوراه قسم الدراسات الأدبية - كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود

Doi: 10.21608/ajahs.2025.420385

استلام البحث ٢٨ / ١ / ٢٠٢٥

قبول البحث ٢٧ / ٢ / ٢٠٢٥

محمد، طيبة حسين سعيد (٢٠٢٥). أثر الأساليب البيانية في الكشف عن المقصود النبوي. ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩(٣٥)، ٢٢٩ – ٢٥٠.

http://ajahs.journals.ekb.eg

أثر الأساليب البيانية في الكشف عن المقصود النبوي

المستخلص:

تعد الأساليب البيانية من أهم الأدوات التي تسهم في كشف المعاني الدقيقة والمقاصد العميقة في الحديث النبوي، حيث تعتمد على تحليل الصور البلاغية واللغوية التي استخدمها النبي ﷺ في خطابه. ومن خلال هذه الأساليب، يمكن فهم مراداته بدقة أكبر، سواء أكانت تشبيهًا، أو استعارة، أو كناية، أو مجازًا. فعلى سبيل المثال، حين قال ﷺ» :المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا«، جاء التشبيه ليوضح مفهوم التكافل الاجتماعي بصورة حسية مؤثرة. كذلك، تساعد الأساليب البيانية في إبراز الإعجاز البلاغي للحديث النبوي، حيث تجمع بين الإيجاز والعمق، مما يجعل الكلام النبوي قويّ الدلالة، سهل الفهم. كما تكشف عن الأبعاد النفسية والتربوية في أحاديثه ﷺ، مثل استخدامه لأسلوب التوكيد في مواضع الوعيد، أو أسلوب التخفيف في مواضع الرحمة. بالإضافة إلى ذلك، فإن تحليل هذه الأساليب يسهم في رد الشبهات حول بعض الأحاديث، حيث يُبيّن أن ما قد يُظنّ أنه غريب أو غير مفهوم يكون في حقيقته من باب البلاغة العالية. وهكذا، فإن دراسة الأساليب البيانية لا تقتصر على الجانب الجمالي فحسب، بل هي مفتاح لفهم المقاصد الشرعية وتطبيقها بشكل صحيح. ويُظهر تحليل الأساليب البيانية في الحديث النبوي مدى دقة النبي ﷺ في اختيار الألفاظ والتراكيب، مما يجعل كلامه نموذجًا للبلاغة والفصاحة، ويكشف عن مقاصده التربوية والتشريعية بأسلوب مؤثر وعميق.

Abstract:

Rhetorical styles are among the most important tools that contribute to uncovering the precise meanings and profound intents in the Prophetic Hadith, as they rely on analyzing the rhetorical and linguistic imagery employed by the Prophet ﷺ in his speech. Through these styles, his intentions can be understood with greater accuracy, whether they involve simile, metaphor, metonymy, or allegory. For example, when the Prophet ﷺ said: "A believer to another believer is like a building whose different parts support each other," the simile was used to illustrate the concept of social solidarity in a tangible and impactful manner.Moreover, rhetorical styles help highlight the eloquent miraculousness (I'jaz) of the Prophet's speech, combining conciseness with depth, making his words powerfully meaningful yet easy to comprehend. They also reveal the

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

psychological and educational dimensions in his hadiths, such as his use of emphatic language in warnings or softened expressions in moments of mercy. Additionally, analyzing these styles helps refute misconceptions about certain hadiths by demonstrating that what may seem obscure or incomprehensible is, in fact, a manifestation of supreme eloquence. Thus, the study of rhetorical styles is not limited to aesthetic appreciation alone but serves as a key to understanding Islamic legal objectives (Maqāṣid Sharīʿah**)** and applying them correctly. In conclusion, analyzing the rhetorical styles in the Prophet's hadith demonstrates his ﷺ precision in choosing words and structures, making his speech a model of eloquence and clarity while revealing his educational and legislative intents in a profound and impactful manner.

المقدمة:

ف"الحقيقة التي لا يخالطها أدنى شك أن الحديث النبوي الشريف قد بلغ أعلى الدرجات في البلاغة والفصاحة بحيث لا يدانيه كلام ولا يقاربه قول وكيف لا وقد خاطبه ربه تبارك وتعالى باستعمال سلاح الكلمة البليغة المؤثرة في رد المنافقين إلى الهدى وإرجاع العصاة إلى سبيل الرشاد"[1]، إن بلاغة النبي ﷺ أمر لا جدال فيه، فما تركه عليه السلام كنز لابد من الوقوف عليه وتبيان أثره على هذه الأمة، ليس الأثر العقائدي فحسب ولكن الأهم دراسة الأثر الذي يجب أن يسبق الأثر العقائدي وهو الأثر الإقناعي، ولإبراز ذلك لابد من الوقوف على جملة من أقواله لإيضاح وجوه البيان فيها، فنطلع على نفائس أسلوبه، وأثر ذلك في سرعة قبول الناس لتعاليمه، وقد وقف العلماء أمام بلاغة النبي ﷺ مشيدين بفصاحته، منتجين كمًا لا نهائيًا من الدراسات في إثبات ذلك، ها هو الجاحظ يصف كلامه عليه الصلاة والسلام بقوله: " هذا الكلام الذي ألقى عليه من المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدم الكلام، وعن استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، ثمَّ لم يسمع الناس كلامًا قط أعمّ نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا

[1]- خالد عبد العزيز الزويع، البلاغة النبوية في الأربعين النووية، قسم الدراسات النظرية، معهد دراسات وبحوث العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية،٢٠٠٩، ص١.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أعدل وزنًا ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح في معناه، ولا أبين في فحواه، من كلامه ﷺ كثيرًا..."[٢]

فهو وصف بديع مثلما فعل الكثير ممن أخذت البلاغة النبوية بتلابيب عقولهم، وأثارت ذائقتهم، إلا أن هذه الأوصاف كانت مجرد انعكاس لسحر بيانه صلى الله عليه وسلم، ويأتي دور المتخصصين بعد ذلك في التحليل والنقد وسبر أغوار النصوص النبوية، وتعدي مرحلة التأثيرات الانطباعية التي وقف عندها السابقون، بطريقة مرسلة لا تعتمد على المنطقية العلمية – إلا القليل منها- والبلاغة علم امتاز به العرب قبل أن يكون علمًا، فقد عرفها العرب وجرت تقاسيمها على ألسنتهم دون أن يميزوا بين هذه العلوم، بل تبعوا سجيتهم وسليقتهم، وقد كان كذلك النبي ﷺ يستعمل ذات اللغة وتجري على لسانه الألفاظ بعذوبتها وحسن بيانها، حيث جعل هذا البيان وسيلة من وسائل الدعوة مكنته منها، بيد أنه أفصح من نطق بالضاد... وقد وقع اختيار الباحث على الأساليب البيانية التي هي إيراد الكلام بطرائق مختلفة، والتعبير عنه.

وقد اقتصر البحث على أحاديث الأربعين النووية لشهرتها ولشموليتها في إفادات تشريعية عدة، ولأن النبي ﷺ لم تكن بلاغته في عمق معنى أحاديثه وجودة أسلوبه فحسب، بل تعدت ذلك إلى إفادات دلالية عظيمة ولغوية فلا يستطيع مثل هذا البحث المتواضع أن يتناول مصنفًا كبيرًا من مصنفات الحديث النبوي، وقد كان الأسلوب البياني بصيغه المختلفة أبرز الأساليب التي ظهرت في الحديث النبوي، لذلك اتبع البحث التحليل البياني للنصوص مستعينًا بالشواهد الشعرية التي تبرز فنيات وبلاغيات النصوص... وإثبات أثر ذلك في الكشف عن مقصود النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديثه.

تمهيد:

متن هذه الدراسة وهو الكتاب المسوم بالأربعين حديثًا النووية، نسبة إلى إمام أهل التقوى يحيى بن شرف النووي، من أهم الكتب تناولًا، وأوسعها انتشارًا وشهرة.

تلقتها الأمة بالقبول، واقترن اسمها باسم مؤلفها، فلا تعرف إلا مضافة إليه (الأربعين النووية).

التعريف بالإمام النووي:

هو الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء، ومحي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - ويقال عنه النواوي- بن حسن بن حسين، عاش صرورة لم

[٢]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، د. ط، د. ت، ج٢، ص٨-٩.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

يتزوج حفاظًا على العلم[٣]، و " اشتهر بالنووي أو النواوي نسبة إلى نوا (من قرى حوران، بسورية) وهو منزل أيوب عليه السلام وبها قبر سام بن نوح"[٤]
ولد الإمام النووي في وسط شهر المحرم الحرام عام 631هـ، ولما بلغ تسعة عشر سنة من عمره سافر إلى دمشق والتحق بالمدرسة الرواحية ليتعلم منها[٥]
" وقد نفع الله المسلمين بتصانيفه العديدة على الرغم من قصر عمره، ومع ذلك ألف عددًا من الكتب، حتى اشتهرت وجلبت إلى الأمصار، منها: شرح صحيح مسلم، والروضة والمنهاج والرياض والأذكار والتبيان وتحرير التنبيه وتصحيحه وتهذيب الأسماء، واللغات، وطبقات الفقهاء وأحاديث الأربعين النووية"[٦]

التعريف بكتاب الأربعين النووية:

إن الإمام النووي وإن كان قد اقترن اسمه بشكل أساسي بالأربعين النووية إلا أنه له جمع من المؤلفات التي اتفقت في جودتها، حيث "امتازت جميع مؤلفات النووي، بالضبط والتحقيق والإنصاف في عرض الأفكار والانتصار لرأي من الآراء"[٧]
وقد رجع ذلك إلى حاجة إنسانية كان يتبعها النووي في تأليفه لكتبه، حيث كان " ينظر في حاجة الناس فيما يؤلف من كتب، وفيما شرح من مطولات، وفيما يوضح من أفكار... حتى عدت كتبه أمهات للكتب في مختلف جوانب العلم،"[٨]
ومن بين أمهات الكتب كان الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن، أحاديث الأربعين النووي، جمع فيه النووي " اثنين وأربعين حديثًا، منها ستة وعشرون حديثًا أملاها عليه أستاذه الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح وأطلق عليها اسم الأحاديث الكلية لأنها من جوامع كلمه ﷺ، ثم أخذ هذه الأحاديث ليزيد عليها ستة عشر حديثًا لتكتمل إلى اثنين وأربعين حديثًا، وسمي كتابه بالأربعين"[٩] وقد سماها في البدء (الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام)، إلا أنه تم تسميتها بالأربعين النووية نسبة إلى موطن جامعها رحمه الله.

---

[٣]- عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1983م، ص92.
[٤]- خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت، ج9، ص185.
[٥]- محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1974م، ج4، ص 264.
[٦]- السابق، نفسه.
[٧]- خالد البيطار، البيان في شرح الأربعين النووية، مكتبة المنار، د. ط، 1987م، ص15.
[٨]- السابق، نفسه
[٩]- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، تحقيق: عماد زكي، المكتبة التوفيقية،د. ط، 2000م، ص13.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وسبب التأليف:

أفصح عنه الإمام النووي حيث قال: " قد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات، فأول من علمته صنَّف فيه عبد الله بن المبارك، ثم محمد بن أسلم الطوسي، - إلى أن قال – وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثًا، اقتداءً بالأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام"[١٠] والمقصود بالأربعين حديثًا العدد وليس المقصود، متن الأربعين النووية أو مضمونها، ولعل ذلك تأثرًا بحديث النبي ﷺ، فيما رواه عنه أبي هريرة حيث قال: " مَنْ حَفَظَ عَلَى أُمَتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ َمْرِ دِينها بَعَثَهُ اللَّه يومَ القيامةِ في زُمْرَةِ الفقَهاء والعُلماء"[١١]

منهجه:

أما عن منهجه المتبع في الكتاب فقد ذكره في المقدمة، يقول في ذلك: " وألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم، وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها، ويعم الانتفاع بها - إن شاء الله- ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها"[١٢]

المبحث الأول: البلاغة النبوية وسمات البيان النبوي:

" جاء الحديث النبوي على نسق الأسلوب الدارج عند العرب في التخاطب، تتجلى فيه لغة المحادثة والحوار الداخلي، ويعالج القضايا والمسائل ويحاور ويناقش كما يتخاطب سائر الناس بعضهم لبعض، ولكنه يتميز من الكلام العربي المألوف بأن فيه لغة منتقاة غير نابية، فيه إحكامًا بالتعبير وجمعًا للمعاني بأوجز طريق وأقربه دون حشو أو تكلف"[١٣]

وقد وُصِفت البلاغة النبوية على لسان الرافعي: " ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه محكمة الفصول محذوفة الفضول"[١٤]

---

[١٠]- أبي معاذ ظافر بن حسن آل جبعان و د. حافظ محمد بادشاه، علم الأربعينيات والأربعين، ص24، نقلًا عن: عبد الله محمد بلال، شواهد التشبيه في الأربعين النووية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الرابع والعشرون، 2017م.

[١١]- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي، تحقيق: محمد السيد زغلول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2000م، 1725.

[١٢]- علم الأربعينيات والأربعين، نقلًا عن شواهد التشبيه في الأربعين النووية، ص55.

[١٣]- خالد الزويع، البلاغة النبوية في الأربعين النووية، ص45.

[١٤]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، د. ط، 1410هـ، ص279.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

إن البلاغة- مما هو معلوم لدى المتخصصين بالضرورة- لم تنشأ على هاته الهيئة المعلوم من التقسيم، فقد نشأت مباحث متفرقة لا ترد إلى علم فرعي من علوم البلاغة، حتى استقرت في قولبة البيان والبديع والمعاني، ومن أقدم الآثار التي عنيت بدراسة البيان عند الأمة كان كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ولا يعني عنوانه الموسوم بالبيان أنه دراسة صافية لمباحث علم البيان دون باقي علوم البلاغة، إلا أنه كان يحوي بداخله الكثير من مباحث البيان وفنونه.

المبحث الثاني: تعريف علم البيان :

تعريفه:

كلمة البيان في الاستعمال القديم لها كانت تحمل معنى البلاغة، فإذا قيل علم البيان يحتمل أن يكون المراد منه البيان بمعناه القديم وهو البلاغة بمفهومها الواسع، وربما أريد به الإيضاح والجزالة... حتى بلاغته ﷺ تعرف عند بعض المتخصصين بالبيان النبوي، ونرصد ذلك في تعريفات العلماء لعلم البيان حيث يكشف كل تعريف عن ماهية البيان لديهم فمثلًا:

تعريف البيان عند الرماني هو " الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره وهو أربعة: كلام وحال وإشارة وعلامة"[١٥] وعند الإمام الجاحظ هو: " الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"[١٦]

أما المحدثين فقد فصلوا تعريف البيان بوصفه علمًا قائمًا بذاته من علوم البلاغة بعد الاستقرار، فيعرفه صاحب كتاب المعجم الأدبي جبور عبد النور خيري: " أنه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة"[١٧] فهو متعلق بالمضمون واشتراط وضوح الدلالة، فكل التعريفات السابقة تشترك في

هذا الشرط الرئيس وهو وضوح الدلالة مع اختلاف الطرائق التي تؤدي إلى ذلك.

المبحث الثالث: مكانة علم البيان بين علوم البلاغة:

هذا العلم الخطابي ينصب اهتمامه الأول على الجملة اللغوية، حيث يتناوله بالأوصاف والتمثيلات فيقدم المعنى على مختلف أكله للقارئ ينهم منه حيث شاء، واختلاف الطرائق المقدم بها المعنى في الأسلوب البياني هي سر تميزه عن باقي علوم البلاغة، حيث إن في تعدد المعاني يعطي بسطة في التفسير، ويظهر ذلك جليًا في نصوص الوحي (القرآن والسنة) تحديدًا عن أي نصوص أخرى.

---

[١٥]- بدوي طبانة، علم البيان، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، 1397هـ، ص25.

[١٦]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص75.

[١٧]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1984م، ص53.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وأنواع الدلالة في علم البيان ثلاثة:
دلالة المطابقة: وهي أن يدل اللفظ على المفهوم الذي تم وضعه له في اللغة بدون زيادة أو نقصان، حيث إنها دلالة وضعية كدلالة لفظ (المسجد) على المسجد.
ودلالة التضمن: وهي أن يدل اللفظ على مفهوم يتضمنه مدلوله الأصلي، مثل أن يدل لفظ (البيت) على السقف.
ودلالة الالتزام: معناها أن يدل اللفظ على مفهوم يقتضيه مدلوله الأصلي عقلًا أو عرفًا، مثل أن يدل لفظ (الحائط) على السقف.
والبيان تتنوع آلياته الفنية ما بين (تشبيه ومجاز بنوعيه وكناية...) وسوف يتم تناول أثرها مجتمعة على بيان الدلالة في المقصود النبوي.

دراسة أسلوب التشبيه في متن النووي:

المبحث الأول: التشبيه مصطلح وأسلوب :

إن الدراسة البيانية في أغلب الأحيان تبدأ باستقطاب مبحث التشبيه لأنه من أكبر الفنون البيانية استعمالًا، وأكثرها قربًا للسهولة والفهم، وأجلاهم وضوحًا وبيانًا، وخاصة في السنة النبوية حيث إن كلام النبي ﷺ معظمه خطاب تشريعي يحتاج إلى تقرير في أذهان الناس، والتقرير يعتمد أكثر شيء على التشبيه. وهو من أنماط التعبير العالية، حيث إن اكتشافه يتعلق بسرائر عليا من النفس الإنسانية وموقفها من الأشياء المحيطة به، وهو يمثل محاولة عقد العلاقات والصلات بين الأشياء الموجودة في الكون وتقرب الفارق الذهني بينهما بإعمال للعقل[١٨]

تعريفه:

يرجع مدار الكلمة في اللغة إلى المماثلة والمحاكاة والمشاكلة... إلخ، وعلى أساسه قام المعنى الاصطلاحي عند البلاغيين، نجما منها:

تعريف ابن رشيق: إن التشبيه هو ذكر " صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"[١٩]
كذلك عرفه عبد القاهر رحمه الله: " واعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأمل. والآخر: أن يكون التشبيه محصلًا بضرب من التأول.[٢٠]

---

[١٨]- ينظر: محمد محمد أبو موسى، التحرير البياني، مكتبة وهبة، د. ط، 1400هـ، ص122.
[١٩]- ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق د. محمد قزقزان، مكتبة الكاتب العربي دمشق، 1994م، ص 488.
[٢٠]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، 1412هـ، ص 90: 94.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

فالأول بين واضح مثل تشبيه شيء مستدير بالكرة، والثاني مثل تشبيه الظهور بالشمس... فيحتاج إلى حجة وتأويل.

أركانه أربعة:

طرفا التشبيه (مشبه ومشبه به)، وأداة، ووجه شبه.

المبحث الثاني: تحليل الشواهد التشبيهية في المتن النووي

قلنا إن التشبيه من أكثر الفنون البيانية مقدرة على تنفيذ المهمة الاجتماعية والتعليمية للحديث النبوي، لذلك نراه أكثر هذه الأساليب توارداً في المتن النووي بصيغه وتقسيماته المختلفة، وسيورد البحث نماذج له حسب تسلسل تقسيم التشبيه:

أولًا: التشبيه المفرد:

وهو ما كان طرفاه مفردين؛ "تشبيه شيء واحد بشيء واحد"[٢١]، ومثاله من أحاديث المتن النبوي إجابة النبي ﷺ لسؤال جبريل عن الإحسان فقال: " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[٢٢]

فالإحسان وهو الطرف الأول في التشبيه وهو (المشبه)، شيء واحد ولفظ مفرد، والمراد منه الإخلاص في العبادة، شبهه النبي ﷺ بالمراقبة والرؤية (المشبه به)، وهما أيضا أمور أحادية بألفاظ مفردة ليست هيئة جمعية، ليجسد أمر غير معلومة بأمر محسوس مدرك، حيث إن المرء قد يتلاعب في غياب الرقيب ولكن يكن لحضوره هيبة تدعوه إلى الإخلاص والتفاني في العمل، فهكذا الإحسان لعبادة الله وله المثل الأعلى، ولأن رؤية الله للعبد غير متحققة في الدنيا جاء حسن اختيار أداة التشبيه (كأن) التي تفيد التشبيه على وجه القوة، ليستقر في نفس المؤمن المعنى المذكور آنفًا من تأثير الرؤية على عمل الفرد، وتأكيدًا على أن الرؤية غير حاصلة من الطرفين يتابع عليه الصلاة والسلام الحديث بقوله: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) لأن المهم في المراقبة ليس رؤية المرَاقَب ولكن رؤية المُرَاقِب... لأن الله لا يجب إثبات الرؤية الحسية له.

تشبيه الجمع:

وهو الذي جاء فيه المشبه متعددًا والمشبه به مفردًا، " تعدد المشبه دون المشبه به"[٢٣] وهو نوع من أنواع التشبيه يقوم على الاستيعاب والتقصي لعناصر

---

[٢١]- د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق، الطبعة الثانية، 1999م، ص 293.

[٢٢]- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م، ج1، الحديث الثاني.

[٢٣]- د. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م، ج2، ص188.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المشابهة، كما أنه يحمل قدرًا من الملاحظة والبراعة في القدرة على الجمع بين الأشياء المناسبة ونظمها في سلك قصير[٢٤]

وهذا التشبيه لم يرد إلا في موضع واحد من متن أحاديث الأربعين النووية، وهو في قوله ﷺ: " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"[٢٥]

إن اقتران فعل الأمر مع أداة التشبيه أكسب المعنى جوًا بلاغيًا عظيمًا حيث إن الأمر لا يكون إلا بما يستطاع، خاصة إن كان من أعظم خلق الله رحمة وخلقًا، فلا يأمره أن يكن غريبًا في حياته بل يتعايش كأنه غريب من باب النصح حتى لا تألف نفسه الدنيا فيغفل عن أخرته.

فهذا الحديث قد حمل دلالات نفسية وانتقاء للألفاظ والتركيب، حيث أمر النبي ﷺ مخاطبيه أن يكونوا غرباء فلما كان الغريب قد يسكن الدنيا المتمثلة في دار الغربة قال (أو عابر سبيل) لأن العابر لا إقامة له، فقد جاء المشبه به متعددًا (غريب- عابر سبيل)، والمشبه مفرد وهو (الضمير المستتر بعد كن)، وما أعظم اختياره صلى الله عليه وسلم للمشبه به الثاني، حيث إن عابر السبيل هو " المسافر الذي انقطع به وهو يريد الرجوع إلى بلده، ولا يجد ما يتبلغ به، فله في الصدقات، نصيب"[٢٦] والعبور لا يستلزم الغربة ولا التعلق، والمبالغة فيه أكثر، وعابر السبيل يقصد البلد مترامي الأطراف، قد يقيم فيه لمحة ويرحل، لا استيطان على وجه الاستمرار والألفة[٢٧]

فالجامع بين الإنسان (المشبه) و(المشبه به) الغريب وعابر السبيل هو عدم التعلق والاستيطان.

التشبيه البليغ:

هو تشبيه يحذف فيه وجه الشبه والأداة[٢٨]، وقد سمي هذا التشبيه بليغًا لأنه يقتضي التأمل والاختصار، ويقتضي كذلك النظرة المعمقة التي تبحث في إيجاد معنى مناسب لوجه الشبه المحذوف، وهو من أعلى مراتب التشبيه بلا منازع[٢٩]

---

[٢٤]- علي الجندي، فن التشبيه " بلاغة، أدب، نقد"، مكتبة نهضة مصر، 1952م، ج2، ص147.

[٢٥]- الأربعين النووية، الحديث الأربعون.

[٢٦]- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة، 1965م، ج13، ص503.

[٢٧]- شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى " الكاشف عن حقائق السنن"، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ج3، ص 341.

[٢٨]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص180.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وقد ورد هذا النوع من التشبيه في ستة أحاديث من متن الأربعين النووية، ومنها حديث رسول الله صلى: "الطَّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمد للهِ تملأُ الميزانَ، وسُبْحَا اللهِ والحمدُ للهِ تملآن ما بين السماءِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ"[٣٠]

فقد ورد التشبيه البليغ في مواضع عدة في الحديث، (الصلاة نور) و (الصدقة برهان) و (الصبر ضياء) حيث ذكر المشبه والمشبه به، متحدين بلا حدود وفواصل تفصل بينهما، وحذف الأداة ووجه الشبه، وذلك ما زاد في إمعان التشبيه وبلاغته، تلك البلاغة التي استرعت الانتباه وطلبت التأويل، ففي التشبيه الأول لما كانت الصلاة تهدي إلى طريق الصواب، وكذلك النور يهدي إلى الطريق من ضروب الظلام كانت الصلاة هي النور لجامع الضياء والهداية، وكذا الصدقة لما كانت دليل على قرب صاحبها من الله، وكذلك البرهان هو إقامة الدليل والتعيين، كانت الصدقة برهان لجامع إقامة الحدة والدليل، وأخيرًا لما كان الصبر يهدي إلى الحياة القويمة وكذلك الضياء.

وتتضح بلاغة التشبيه النبوي، باختياره النور والضياء، لأنهما يقعان على الأبصار في كل زمان ومكان، وهذا ما أكد عليه عبد القاهر الجرجاني عندما قال: " إن مما يقتضي كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دورانه على العيون، ويدوم تردده في مواقع الأبصار وأن تدركه الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات..."[٣١]

كذلك من الأحاديث التي ورد فيها التشبيه البليغ قوله ﷺ: " الصَّومُ جُنَّةٌ"[٣٢] عندما سأله معاذ رضي الله عنه عن أبواب الخير.

فالجنة في اللغة الستر، حيث عبر النبي ﷺ في هذا التشبيه البليغ بجملة اسمية مبتدأ وخبر، فكان هذا التشبيه بمثابة الإخبار عن سؤال عام باختصار وسلاسة (الصوم ستر ووقاية لمن أراد الخير)، والتعبير هذا يفيد الثبوت والاستمرارية، فالصوم وقاية كما الجنة تعصم من المفاسد، ومما لا شك فيه أن حذف الأداة كان من أهم العوامل التي ساعدت في بلاغة التشبيه.

---

[٢٩]- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، مطبعة دار الرسالة، بغداد، 1982م، ص584.

[٣٠]- الأربعين النووية، الحديث 23.

[٣١]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص143.

[٣٢]- الأربعون النووية، الحديث 29.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

التشبيه التمثيلي:

وهو ما كان فيه وجه الشبه مركبًا أو منتزعًا من أمور متعددة، حسيًا أو عقليًا، فلا يشترط فيه إلا الوجه وهذا ما عليه أغلب العلماء[٣٣]

ولقد ورد التشبيه التمثيلي في عدة مواضع، منها على سبيل التمثيل قوله ﷺ: " الصَّدَقةُ تُطْفِئ الخَطِيئةُ، كَمَا يُطْفِئ المَاءُ النارُ"[٣٤]

فالتشبيه هنا لم يقم على تشبيه الصدقة بالماء، وإنما شبه حال الصدقة في حال تكفيرها عن الخطايا من حيث الإخماد، بحال الماء عندما يطفئ النار، فالتشبيه هنا ليس بين أجزاء مفردة بل هو تشبيه هيأة وحالة.

تلك هي بلاغة التشبيه التمثيلي، خصوصًا وأن الأمثال قد جاءت مستمدة من ظواهر الطبيعة. وهذا ما أكده البلاغيون عندما انتبهوا إلى أن صور التشبيه المستمدة من عناصر كونية أو نفسية عامة يشترك في إدراكها والإحساس بها كافة المتذوقين، إنما تكون من العناصر التي هي أحفظ لبقائها وحيويتها، وتأثيرها في أجيال الناس والأمم.[٣٥]

المبحث الثالث: دلالات التشبيه ومكانته في المتن النووي

قيل في التشبيه إنه: " يدني القصي ويكشف الخفي ويكسب المعاني رفعة وشرفًا ويكسوها روعة وفخامة، ويبرزها في معارض الحسن والبيان"[٣٦]

لقد حفل الحديث النبوي بشتى ضروب التشبيه، فغنم بما يحمل التشبيه من دلالات ساعدت في تثبيت المعنى بوصفه نسقًا تشريعيًا، هذا غير ما أضفاه التشبيه من حسن بيان وجودة سبك وطلاوة عززت الخطاب النبوي لدى المتلقين.

المجاز بين العقلي واللغوي

المبحث الأول: بين الحقيقة والمجاز

لا يخلو أي تعبير في العربية إلا أن يكون إحدى اثنين، حقيقة أو مجاز، فإذا عبرنا عن المعنى باللفظ الموضوع له في الأصل فهو تعبير حقيقي، والحقيقة مشاع بين العلماء -إلا أن تعريفها لا يخرج عن هذا المعنى الذي أُشير إليه-، ونذكر من أقوال العلماء على سبيل الإجمال أن الحقيقة هي ما عبر عنها شيخ البلاغة عبد

---

[٣٣]- د. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص185.

[٣٤]- الأربعون النووية، الحديث 39.

[٣٥]- محمد أبو موسى، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، دار التضامن للطباعة، الطبعة الثانية، 1980م، ص 51.

[٣٦]- المنهاج الواضح، ج5، ص7.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

القاهر بقوله: " كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وإن شئت قلت في مواضعه وقوعًا لا يستند فيه إلى غيره"[٣٧]

أما المجاز فهو على عكس الحقيقة، حيث التعبير يكون بغير المعنى الموضوع له في أصل اللغة وهو مأخوذ من جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل كقولنا زيد أسد فإن زيدًا إنسان، والأسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية[٣٨]

فالمجاز البلاغي في تعريفه الجامع المانع قد فصل فيه القول بشيء من الإيضاح حيث قال: " المجاز منه المفرد والمركب وهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته فقولنا المستعملة احتراز عما لم يستعمل لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازًا كما لا تسمى حقيقة"[٣٩]

المبحث الثاني: أقسام المجاز في البيان البلاغي :

قسم أهل البلاغة المجاز إلى قسمين؛ لغوي وعقلي:

المجاز اللغوي: كل كلمة مستعملة في غير معناها الأصلي لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي فإذا كانت العلاقة هي المشابهة سمي استعارة وإذا كانت غير المشابهة سمي مجازًا مرسلًا.

وعرفوا الاستعارة فقالوا فيها: إن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه فإما أن يحذف المشبه ويصرح المشبه به فتكون الاستعارة مكنية[٤٠]

المجاز المرسل:

هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له غير المشابهة، وعلاقاته (الجزئية- الكلية- السببية- المسببية- اعتبار ما كان- اعتبار ما سيكون- المحلية- الحالية)

- **المجاز العقلي**:

وهو صورة من صور التوسع في اللغة حيث يفتح أمام المتكلم ميدانًا فسيحًا للتفنن في القول وتلوين العبارة وإخضاع القول وتلوين العبارة وإخضاع الكلام لما يريد، ومن علاقاته (المفعولية – الفاعلية- المصدرية- الزمانية – المكانية- السببية).

---

[٣٧]- بدوي طبانة، علم البيان، ص120.

[٣٨]- ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص106.

[٣٩]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ، ص 120.

[٤٠]- عبد القدوس أبو صالح وأحمد توفيق، علم البيان، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية، ص94.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المبحث الثالث: عرض وتحليل شواهد المجاز في المتن النووي:

إن جل أحاديث المتن النووي لا تخلو من المجاز في إحدى تراكيبها، ومنها الحديث الأول (إنما الأعمال بالنيات...)، فقوله (إلى دنيا) مجاز مرسل العلاقة فيه غير المشابهة وإنما المحلية، حيث المقصود عرض الحياة الدنيا وما فيها من منافع وملذات... فهو مجاز مرسل علاقته المحلية.

كذلك قوله عليه الصلاة والسلام (دنيا يصيبها) استعارة مكنية حيث شبه تحصيل الدنيا بإصابة الهدف بجامع السرعة في الوصول إلى المقصود ففيه استعارة مكنية، حيث حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (أو امرأة ينكحها) فيه مجاز مرسل والعلاقة فيه اعتبار ما يكون، فالمرأة لا تنكح مباشرة وإنما يسبق ذلك مقدمات.

وفي حديث بني الإسلام على خمس قرر النبي ﷺ تأكيد أن هذا الدين بناء شامخ وأساس قويم فقال: " بني الإسلام على خمس" وهي استعارة مكنية، حيث شبه الإسلام ببناء له دعائم، فذكر الإسلام وهو المشبه، وحذف المشبه به لكنه صرح بلازم من لوازمه وهو البناء.

- في الحديث السادس: الذي قال عنه الإمام النووي أنه أصل من أصول الشريعة، فيه استعارة في قوله (إنَّ في الجَسدِ مُضْغَةِ) حيث شبه القلب بالمضغة، ثم استعير لفظها للقلب على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية[٤١]
- وفي الحديث الثامن من المتن النووي نجد قوله ﷺ (فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُمُ) فلفظ دماءَهم فيه مجاز مرسل وعلاقته الجزئية، فأطلق الجزء وهو الدماء وأراد الكل وهو كامل الجسد.

الكناية آلية بيانية:

المبحث الأول: الكناية مصطلح وأسلوب

إن أسلوب الكناية في البلاغة العربية من أهم الأساليب التي يلجأ إليها المنشئ ليحقق غايات بلاغية في الكلام، حيث إن الكناية هي الوسيلة البلاغية التي تعين على إخفاء المعنى الصريح، ومن الطبيعي أن نجد في أحاديث النبي ﷺ ذلك الأسلوب البلاغي لخشيته عليه الصلاة والسلام من التصريح في الفحش والابتذال، كما أن التعبير بالكناية يثير التوق في نفس السامع والقارئ فيجدا المتعة الفنية التي يصل إليها بعد البحث والتأمل والإدراك فيظل أثرها باقيًا في نفسه ويبقى الاستماع بها طويلًا وقد بلغت عناية علماء الأدب والبلاغة بفن الكناية حدًا كبيرًا واهتمامًا بالغًا ولا يكاد يخلو منها كتب البلاغيين إما استشهادًا أو نقدًا أو عرضًا.

[٤١]- د. محمد أبو بكر، من بلاغة السنة، مطبعة أطلس، د. ط، 1979م، ص56.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وقد عرفها أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن بأنها " كل ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحًا في العبارة"[٤٢]

أما العلوي فقد نقل تعريفًا عن ابن السراج يقول فيه: " هي ترك التصريح بالشيء إلى مساوية في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم"[٤٣]

وقد عرفها عبد القاهر الجرجاني بأنها: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تالية ورفه في الوجود فيوحي به إليه ويجعله دليلًا عليه"[٤٤]

أقسام الكناية: قسم علماء البلاغة الكناية إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة فيقسمها العلماء باعتبار القرب أو البعد، ويقسمها البعض بحسب المكني عنه وهو محل اهتمام كثير من البلاغيين[٤٥]، ونخلص إلى أهم تقسيمات الكناية وهي:

- **كناية التمثيل**:

وهي أن ترد الكناية بمعان مماثلة ومشابهة للمكني عنه ويطلقها عليه، وفيه يصور المتكلم المعقول بصورة محسوسة.

- **كناية الصفة**:

وهي التي يكون فيها اللفظ المكنى به دالًا على صفة مقصورة في اللفظ المكنى به.

- **كناية عن موصوف**:

وهي التي يكون اللفظ المكنى به دالًا على موصوف معين ويشترط أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه حتى يحصل الانتقال منه إليه.

- **كناية عن نسبة**:

ويقصد به إثبات حقه لموصوف معين أو نفيها عنه بطريق غير مباشر وإنما بشيء يتعلق به.

تحليل شواهد الكناية:

إن الكناية غاية بلاغية ليست لينة الوصول، واد مخضر لا يصل إليه إلا من تم بيانه وحسن لسانه وصفى قلبه، حيث إنه وسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع وله أثر كبير في تحسين الأسلوب وتزيين الفكرة، ولقد استوقف البلاغيين كثير من

---

[٤٢]- بدوي طبانة، علم البيان، ص231.

[٤٣]- العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، د. ط، الرياض، 1400هـ، ج1، ص

[٤٤]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعارف، د. ط، الرياض، 1398هـ، ص52.

[٤٥]- الخطيب القزويني، الإيضاح، ص330.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أحاديث النبي ﷺ في هذا الصدد، حتى إنهم أنشأوا كثير من المباحث البلاغية على إثر الكناية، مثل قضية التعريض بالكناية وغير ذلك... ومن الشواهد التي جاءت في المتن النبوي زاخرة بذلك الفن البياني:

في الحديث الأول: كان الحديث عن النية التي عليها مدار الأعمال والتي تسبق الهم والعزم في القبول وعدمه، فنجد النبي ﷺ يعبر بالكناية في موضع (فَمنْ كانتْ هجرتهُ إلى اللهِ ورسولهِ) أي قصده ونيته في التوجه، وهذا التعبير كناية عن الإخلاص في العمل وهي كناية عن صفة (الإخلاص)، وأيضًا في تركيب (فهجرته إلى الله ورسوله) المراد ثوابًا وخير ومنزلة فالمعنى الذي يقصد والمعنى البعيد: شرف الهجرة وكونها بمكانة عند الله تعالى وكونها مرضية النتائج، والمعنى القريب غير المقصود أن يهاجر المرء إلى بلاد فيه شعائر الله والالتحاق بركب الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة[٤٦]

وقوله أيضًا (فهجرته إلى ما هاجر إليه) فالنص لم يحدد ما له الهجرة بل قال (ما هاجر إليه) بل أتى باللفظ المكنى عنه ويقصد به حقيقة الهجرة ولم يصرح باللفظ، فهي كناية عن موصوف لأن ربما المراد المرأة أو الدنيا، وفي الكناية هذه تحقير لما هو دون سبيل الله، فلم يذكره النبي لقلته، وذكر (إلى الله ورسوله) لعظمتهما.

وفي الحديث الثاني من أحاديث الأربعين النووية، حديث الإيمان والإحسان قال النبي ﷺ في وصف جبريل (إذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُل شديد بياض الثيابِ) فالظاهر من النص أنه وصف لهيأة جبريل عليه السلام ليرسم في ذهن المتلقي، ولكن المراد هو إثبات التجمل وحسن المظهر وجمال الطلعة، فهذا التركيب كناية عن نسبة، حيث نسبة الجمال وحسن الزيارة إلى سيدنا جبريل عليه السلام، كذلك قوله في ذات الحديث (شديد سواد الشعر) أيضًا المعنى الظاهر هنا أنها مجرد وصف للون شعره، ولكن هناك معنى بعيدًا وهو الكناية عن شباب الموصوف وعدم تمكن المشيب منه بدليل سواد شعره، وهي كناية عن نسبة كذلك.

وهناك شاهدًا آخر في الحديث وهو قوله: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة الشاه يتطاولون في البنيان) فهذه علامات ذكرها النبي صلى الله عليه ليوم القيامة، فليس المراد أنه عندما تلد الأمة ربتها تقوم القيامة، أو إن تطاول عديمي الأصل والمال في البنيان، وإنما المراد هو الإخبار عن تحول الحال بشكل غير منطقي حيث كثرة السراري والأولاد من سيد الأمة فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها ولأن مال الإنسان صائر لأبنائه فتحول الحال يلحق بالأصول والفروع... ويصير التحول عامًا، فهذه كناية عن موصوف.

---

[٤٦]- محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، د. ط، 1405هـ، ج1، ص42.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وفي الحديث السادس: (في الجسد مضغة)

فالحديث عن القلب وهو محل النظر والتدبر الذي يرى بنور اله عز وجل، فإذا صلح العبد صلح قلبه لأن الله سيقذف نوره فيه، فيقول ﷺ (إذا صلحت) يفهم منها أن تلك المضغة تعتريها الصحة والسقم، والمعنى هذا كناية عن سلامة القلب فهي كناية عن موصوف.

وقوله أيضًا (صلح الجسد) يفهم منها أن الجسد سليم معافى، ولكن المعنى البعيد هو ملازمة صاحب القلب للطاعة والتقوى والصلاح الديني، فهي كناية عن موصوف، وكذلك قوله (**فسدت**) فقد يفهم أن فساد المضغة بأن هذا العضو أصيب بالعطب والسقم، ولكن المراد أن هذا القلب انصرف عن عبادة الله بالمعصية وعدم اجتناب الفواحش فهي كناية عن موصوف.

وفي الحديث التاسع عاشر ذكرت الكناية في قوله عليه الصلاة والسلام: (رفعت الأقلام وجفت الصحف) فالمعنى المتبادر إلى الذهن أن الأقلام وضعت والمكتوب في الصحف جف لا يمكن أن يمحى وهو تصوير لهيأة، ولكن المراد هو انقضاء الأمر لا مماطلة فيه ولا تسوية، حيث إن القلم إذا رفع فلا يعود للكتابة أو التعديل من جديد، وكذا الصحف لا يمحى منها شيء فكل يبقى على حاله ملزم بما كتب عنه، فهو معنى تقرير على عدم إمكانية تغيير ما كتب الله وقضى به، وهي كناية عن صفة.

وفي الحديث الخامس والعشرون الكناية في قوله (**وفي بضع أحدكم صدقة**) فالكناية هنا وقعت في لفظ البضع، والمراد بالبضع هو عقد النكاح قبل أن يدخل الرجل بزوجته وهذا هو المعنى الظاهر من النص، لكن المراد بالبضع هنا الفرج وهو موطن الجماع وهي كناية عن موصوف.

وفي الحديث الأربعين قوله ﷺ **(إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء)** فالمتلقي لحديث النبي ﷺ يتبادر إلى ذهنه المعنى السطحي لبنيات النص وهو أن الرجل في ترقب ومطالعة لحركة الليل والنهار، وأنه لا يدرك بزوغ النهار وأفول المساء، ولكن المراد بهذا التركيب أبعد من ذلك وهو تعبير بالكناية والمراد منه الاستعداد لملاقاة الله والرحيل إليه وهو معنى الكناية غير الظاهر لحاجة بيانية من رسول الله ﷺ وهي كناية عن صفة.

بلاغة علم البيان من خلال الشواهد:

في مباحثه:

إنَّ هاته الصور البيانية سالفة الذكر في كلام سيد الخلق إنما تعبر عن لون من ألوان الإبداع النبوي، وكشف عن ارتفاع أسلوبه إلى درجة بيانية لم يبلغها أديب قط.

وإن ما تم تتبعه في من شواهد وتحليلها في البحث كان حجة حتى لا يتم إرسال القول عن بلاغته ﷺ دون دليل، ولهذا العلم ثمرته التي يسعى طالبه إلى تحصيلها، حيث إن لكل لون من ألوان العلم وصنوف المعرفة غاية يسعى إليها وفائدة يقيدها

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

صاحبه من الجد في طلبه والعناء في تحصيله وقد تكلم أصحاب هذا العلم عن ثمرة هذا العلم في أمرين:

الأمر الأول: ثمرته دينية وهي الاطلاع على معرفة إعجاز كتاب الله ومعرفة معجزة رسول الله ﷺ إذ لا يمكن الوقوف على ذلك إلا بإحراز علم البيان والاطلاع على أغواره.

والنبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام مع ما أعطاه الله من العلوم الدينية وخصه بالحكم والآداب الدنيوية لم يفتخر من ذلك بشيء، ولم يباهى بعلم ولا كمال وإنما تفاخر بمعرفته للغة وفصاحته وتمكنه البياني، فقال (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش وترضعت في بني سعد)، فحتى افتخاره باللغة جاء قبل فخره بقبيلته ورضاعته وهما من ضمن أسباب تفوقه في اللغة كذلك، ولم يفتخر بهم لذاتهما.

الأمر الثاني: ثمرته عامة لا يتعلق بها غرض ديني إذ هي فائدة أدبية وهي الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنظومه فإن كل من لاحظ له في هذا العلم لا يمكنه معرفة الفصيح من الكلام والأفصح ولا يدرك التفرقة بين البليغ والأبلغ[٤٧]

وقد وقع الاختيار على دراسة علم البيان تحديدًا لما له من ميزة الجمع بين التصوير والإقناع، وقدرته على إثارة الفكر والعقل، وقد وقفنا وقفات متأنية على أثر الفنون البيانية كل على حدة من حيث أثره البلاغي في بيان المقصود النبوي.

أولًا التشبيه:

إحدى الوسائل التعليمية والتعريفية والتعيينية كذلك، والتي تعتد في الأصل على إلحاق المجهول لدى المخاطب بمعروف لديه وهو شكل من أشكال الدلالة يعتمد القياس والتمثيل والتصوير، ويقدم للمخاطب دربًا من المعرفة المجسدة الممثلة للصورة وهو ناقل للمعنى المجهول إلى المعلوم

ومن الغامض إلى الواضح ومن الخفي إلى الجلي[٤٨]

وتلك الملامح التي ذكرناها لفن التشبيه نجد أن الأمثلة أثبتت أنها حاضرة في المشهد الدلالي والكلامي في مجمل أحاديثه ﷺ، حيث توليد الصور المبتكرة والجمع بين المتباينات لتقرير الوظيفة الإقناعية، واختراع الصور الذهنية وجعلها حاضرة كأنها مشاهدة وهذا سر بلاغي له دون بقية الأساليب البيانية الأخرى.

ثانيًا: المجاز

إن المجاز بأقسامه له في الكلام فضل لا يكر ومزية لا تخفى، وذلك أنه يكسب الأسلوب حلة وجمالًا والمعنى اتساعًا[٤٩]، وهذا الأثر البليغ أخذ بتلابيب كثير

[٤٧]- د. بدوي طبانة، علم البيان، البلاغة النبوية في الأربعين النووية، ص 103.

[٤٨]- د. عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة، ص429.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

من العلماء والبلاغيين فوصف قدرته على الإدهاش والإمتاع، مما يثبت تفوق النبي في استخدامه المجاز في متن أحاديثه حيث استطاع به تحريك المعنى في النفوس، فيقول أحدهم عن المجاز: إن البليغ إذا وضع كلمة حقيقية في غير موضعها المتوقع يكون قد حرك معها تأثير تلك الكلمة والسياق التي جاءت فيه، وحرك في النفوس المعنى التي وضعت له والنقل بمشاعرهم إلى سياق آخر لم يكن مألوفًا فتحصل الدهشة من النقلة الكبرى من السياق الحقيقي إلى المجازي وعلى قدر ما في العلاقات الجديدة من براعة وطرافة وعلى قدر ما توحي فكر ومشاعر تكون الدهشة أعمق والإثارة أروع[٥٠]

فهذا الفن البلاغي يسترعى الانتباه والفهم ويطلب التركيز للوصول إلى كنه المعنى النبوي، ومن هنا نجد اتكاء النبي ﷺ في أحاديثه ليعين على استقصاء الهدف، ومعرفة ما وراء السياق والكشف عن المقصود النبوي تجاه قضايا الحياة.

ثالثًا: الاستعارة:

إن الاستعارة تتميز عن باق دروب المجاز بميزات أخرى غير التي وسم بها المجاز أهمها:

تأكيد المعنى، والمبالغة فيه، حتى إننا نتحدث عن المشبه على أنه عين المشبه به مثل ما في قوله ﷺ (الصوم جنة) فكأنه يقول المشبه وهو الصوم عين الجُنة.

وعلى كل حال فالاستعارة تندرج تحت المجاز، وكلاهما – الاستعارة والمجاز المرسل- يستطيع إلباس المعاني الخفية ثوب الجلاء والوضوح، كأنك تجسد المجرد فتراه العيون وتدركه الأبصار... وأثر ذلك في بيان مقصود النبي ﷺ لا يخفى على عاقل.

رابعًا: الكناية:

إن الكناية تشارك الاستعارة- إن لم تكن تفوقها- في ميزة تجسيد الأمور المعنوية وإظهار اللطائف من المعاني المطلوبة والمكني عنها، والكناية من الفنون البلاغية الجمالية في الأعمال الأدبية ومن معطيات البلاغة فيها، لأنها تذكر الحقيقة مصحوبة بالدليل والبرهان فتقصي الكلام قوة وعمقًا في التأثير، كما ان هذا الفن من فنون البيان لا يترك التصريح بالشيء غلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة

---

[٤٩]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص33.

[٥٠]- د. منير سلطان، البديع في شعر المتنبي التشبيه والمجاز، مكتبة منشأة المعارف، الإسكندرية ، د. ط، 1992م، ص313.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

كالإيضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو عن الفاحش بالظاهر أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن[٥١]

ومما تقتضيه البلاغة أن التلميح أبلغ من التصريح في بعض المواطن من الكلام... ففي أغلب الأحيان تأتي الكناية لدواع أخلاقية حيث الكناية عن ألفاظ خادشة بألفاظ محافظة قويمة، وكان هذا أعظم توظيف للكناية تناوله في الخطاب النبوي.

وقد تبين من خلال هذا العرض الموجز مقدرة النبي ﷺ وبلاغته في توظيف آليات علم البيان في تمكين مقصوده في قلوب مستمعيه ومخاطبيه.

كما أكدت على تمكن الرسول الكريم في أحاديثه البيانية عن المعاني التي قصدها، بأكثر من وسيلة تقترب أو تبتعد حسب المعنى المراد، وهذا التعبير البياني يستند إلى قدرة تعبيرية ومخزون لغوي محقق، فلا يأتي خبط عشواء فمن البديهي أن يكون له ذلك الأثر في الحديث النبوي من حيث الجودة البلاغية والحس الجمالي والإمكانات التعبيرية.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، على ما يسر وأعان في تحليل هذا المتن الحديثي، وقد كان غرض هذا البحث بيان أثر استخدام النبي ﷺ للأساليب البيانية في أحاديث الأربعين النووية، وإثبات قدرته البيانية عليه الصلاة والسلام، وقد خلصت الدراسة إلى:

- إن البحث في متن تشريعي لتتبع الجوانب البيانية فيه أقدر على استنباط آليات التحليل أكثر من المؤلفات الأدبية واللغوية.
- إن خصائص البيان النبوي تميزه عن غيره من بلغاء العرب، وتسمو به إلى قمة البيان العربي، وكيف أنه استطاع تمكين ومواكبة كل لفظ للمعنى الموضوع له، ومناسبة التراكيب لمقتضى الحال.
- إن استخدام الأسلوب البياني في أحاديث الأربعين النبوية ليس مقصودًا لذاته وإنما هو آلية يفرضها الموقف الخطابي.
- وأخيرًا فإن حسن تلقي الأمة لهذا المصنف يعود إلى إحكام اختيار المواد الحديثية الواردة فيه، ومناسبتها لأغلب أصول الشريعة، وقيام الفرائض عليها.

[٥١]- د. أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، طبعة دار الكتب العلمية، د. ط، 1996م، ص243.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الأثير ضياء الدين ، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة ار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة

ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، تحقيق: عماد زكي، المكتبة التوفيقية،د. ط، 2000م.

ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق د. محمد قزقزان، مكتبة الكاتب العربي دمشق، 1994م.

أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي، تحقيق: محمد السيد زغلول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2000م.

أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م، ج1، الحديث الثاني.

أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م، ج1، الحديث الثاني.

أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة دار الرسالة، بغداد، 1982م.

أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق، الطبعة الثانية، 1999م.

أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م، ج2.

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، د. ت

جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1984م.

خالد البيطار، البيان في شرح الأربعين النووية، مكتبة المنار، د. ط، 1987م.

خالد عبد العزيز الزويع، البلاغة النبوية في الأربعين النووية، قسم الدراسات النظرية، معهد دراسات وبحوث العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009م.

الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ.

خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت، ج9.

د. منير سلطان، البديع في شعر المتنبي التشبيه والمجاز، مكتبة منشأة المعارف، الإسكندرية ، د. ط، 1992م.

شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى " الكاشف عن حقائق السنن"، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ج3.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1983م.
عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، 1412هـ.
عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعارف، د. ط، الرياض، 1398هـ.
عبد القدوس أبو صالح وأحمد توفيق، علم البيان، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية.
علم الأربعينيات والأربعين، نقلًا عن شواهد التشبيه في الأربعين النووية.
العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، د. ط، الرياض، 1400هـ، ج1.
علي الجندي، فن التشبيه " بلاغة، أدب، نقد"، مكتبة نهضة مصر، 1952م، ج2.
محمد أبو بكر، من بلاغة السنة، مطبعة أطلس، د. ط، 1979م.
محمد أبو موسى، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، دار التضامن للطباعة، الطبعة الثانية، 1980م.
محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1974م، ج4.
محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، د. ط، 1405هـ، ج1.
محمد محمد أبو موسى، التحرير البياني، مكتبة وهبة، د. ط، 1400هـ.
مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، د. ط، 1410هـ.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X